هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

الأستاذ فؤاد طرزى المحامى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

عند نهاية الحرب انخفض الإنتاج الاقتصادى فى الاتحاد السوفياتى من ٤٢ فى المائة بالقياس إلى الإنتاج الأمريكى إلى ٢٥ فى المائة بالنسبة لهذا القياس . وإذا ما سار كل شىء سيره الطبيعى فى روسيا فإن الكفاءة الصناعية فيها ستبلغ فى عام ١٩٥١ نفس الكفاءة التى كانت تتمتع بها أمريكا عام ١٩٠٤ أى قبل ٤٤ سنة وفى عام ١٩٦٠ سيبلغ الإنتاج الروسى إنتاج أمريكا عام ١٩١٨ .

وحين قدم ستالين مشروع السنوات الخمس الرابع فى ٩ شباط عام ١٩٤٧ قال : « إن المهمة الأساسية تتركز فى استعادة مستوى ما قبل الحرب فى الصناعة والزراعة ثم بعد ذلك نزيد هذا المستوى بنسب متفاوتة معقولة . وربما تطلبت الزيادة ثلاثة مشاريع جديدة من مشاريع الخمس سنوات ، ولكننا يجب أن ننجز ذلك » .

ويستطيع المتتبع أن يتأمل فى هذا المشروع جيداً ، محللا أهداف ستالين ، مقدراً الكفاءة الشيوعية تقديراً مسرفاً فى المبالغة ، ومع ذلك فإن روسيا إلى الآن لم تنفذ مشروعاً واحداً من مشاريع السنوات الخمس المتعددة .

وقد أعلن ستالين بأن هدفه فيما يتعلق بإنتاج النفط أن يبلغ هذا الإنتاج (٦٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تعدت أمريكا هذا الرقم منذ (٢٨) سنة مضت وأنتجت فى عام ١٩٤٧ وحده (٢٧٠) مليون طن . وإذا رجعنا إلى الحقائق وتركنا الآمال وجدنا أن إنتاج روسيا من النفط بلغ درجة من القلة اضطرها إلى استعمال الفحم وغيره من الوقود القليل الاحتراق عند عدم توفره .

ووجد المهندسون السوفيتيون العاملون فى روسيا اليوم أن (٣٠) بالمائة من إنتاج الفحم قد استهلكته القاطرات . بينما استعملت كميات أخرى تقدر بـ (٣٠) بالمائة أيضاً من هذا الإنتاج فى إنتاج القوة الكهربائية ، ولذلك فلم يبق سوى (٤٠) بالمائة من إنتاج الفحم يجب أن يستعمل فى كافة المصانع الروسية بشمل ذلك فحم الكوك المستعمل فى إنتاج الفولاذ .

ويريد ستالين من مشروع السنوات الخمس الحالى أن يوصل إنتاج الفحم إلى (٥٠٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تجاوزت أوربا والولايات المتحدة هذا الرقم منذ (٣٠) سنة مضت .

وطلب ستالين أن يصل إنتاج الفولاذ إلى (٦٠) مليون طن عند نهاية مشروع السنوات الخمس الجديد ، أو خلال المشروع الذى يليه ، بينما بلغ إنتاج القارة الأوربية وحدها ما مقداره (٥٠) بالمائة أكثر من هذه الكمية فى نهاية الحرب الأخيرة .

وينقص روسيا بعض المواد الصناعية المهمة فى الاستعداد الحربى منها « التانكستن » والمليدنوم والقصدير والأمونيا ، وينقصها أيضاً ما هو أهم من هذه المواد وهو المطاط ، إذ أنها لا تملك خطوط مواصلات إلى ما وراء البحار تجلب عن طريقها المطاط الطبيعى ، كذلك ليست لها الإمكانيات اللازمة لبناء المصانع المعقدة التى لا بد منها لإنتاج المطاط الصناعى .

ويشكو الاتحاد السوفياتى شكوى واضحة من قلة طرق المواصلات ، ولكن فيما يتعلق بعدد البواخر الموجودة الآن لديه فهو فى وضع لا بأس به ، إذ أن بواخره التجارية التى كان يقدر عددها قبل الحرب بمقدار عدد بواخر السويد قد ضوعفت بما قدمته أمريكا للاتحاد السوفياتى من هدايا وبما حصل عليه من ألمانيا كتعويضات . ومع ذلك فإن سعة مساحة الاتحاد السوفياتى ترهق مواصلاته الداخلية المحدودة . فالطرق قليلة وخوة ، والطريق الوحيد هو الطريق الذى يبدأ من موسكو إلى لننغراد شمالا وإلى « مفسك » غرباً ونحو « كييف » و « خاركوف » جنوباً ، بينما تستعمل العربات فى المدن استعمالا رئيسياً . ولهذا فإن روسيا تحتاج احتياجاً كبيراً إلى قنوات منظمة كالقنوات التى تقوم بالقسط الأكبر من أمور النقل فى أوربا الغربية . كما أنها لا تملك طرقاً مائية ما خلا عدة أنهار كبيرة تتجمد مياهها أغلب أيام السنة . ولذلك فإن أكثر من(٨٣) بالمائة من الشحنات الداخلية يجب أن تنقل بالسكك الحديدية ، وأن روسيا حتى داخل مثلثها الصناعى لا تملك وسائل المواصلات الكافية ، وكل ما يملكه طول طرق سككها الحديدية طول الطرق التى كانت فى الولايات

المتحدة منذ مائة سنة مضت ، أى فى عام ١٨٤٦ ، إذ يبلغ مجموع طول طرق السكك الحديدية فى روسيا (٥٧) ألف ميل يقابل ذلك (٢٢٦) ألف ميل فى الولايات المتحدة الآن .

وهكذا فإن نقص طرق المواصلات الحديدية يشكل أعظم ثغرة فى الاقتصاد الروسى ، وهو نقص سيحد من طاقة روسيا منين عديدة مقبلة ، وحتى وفق مشروع السنوات الخمس الجديد ستبنى روسيا (٤٥٠٠) ميل من خطوط السكك الحديدية الجديدة متركزة فى الجهة الغربية من البلاد وهى الجهة التى سيطر عليها النازيون مدة من الزمن . وروسيا مضطرة إلى تبديل مهمات السكك الحديدية فى حين أن هذا التبديل لا يمكن أن يتم عن طريق الإنتاج الروسى ، ولذلك فإن السوفيات يستعملون الآن عربات قديمة ويجلبون التجهيزات أحياناً من ألمانيا والأقطار التابعة لها . ويعمل الاختصاصيون الروس والمهندسون السويديون الآن على تقليد العربات الأميركية وإنتاج أنواع منها .

إننا نستطيع أن نعرف الشىء الكثير عن روسيا من دراسة الصناعة الآلية السوفياتية . فالمصانع الروسية لا تنتج أى مبتكر خاص بها من تصاميم السيارات بل هى تنتج على منوال التصاميم الأميركية والبريطانية مع أحداث بعض التغييرات الطفيفة . ومع ذلك فإن للمنتجات الروسية من السيارات لا تزال غير قوية جداً . ولا يزيد مجموع طرق السيارات المعبدة فى روسيا على ثمانية آلاف ميل .

كما أن الكلام عن استخدام الأيدى العاملة فى الاتحاد السوفياتى يقفنا بدوره على قدرة روسيا الحربية . فقد جاء فى مجلة « المشاكل الاقتصادية » الروسية أن قوة الكهرباء المستعملة فى إدارة المحطة الأمريكية فى ماهوس (نيوجرسى) تعادل القوة الكهربائية المستعملة فى محطة كيمرفر الروسية . وعلى الرغم من أن المحطتين تنتجان إنتاجاً متساوياً ، فإن الصنع الأميركى فى المحطة الأولى يستخدم (١٥١) عاملاً ، بينما تستخدم المحطة الروسية (٤٨٠) عاملا . ويستخدم الصنع الأميركى فى نفس الصناعة (١٧) موظفاً لإنتاج الورق بينما يستخدم الصنع الروسى فى المحطة الروسية (٦١) موظفاً . وبصورة عامة يمكن القول بأنه يجب استخدام (١١) شخصاً لإنتاج ألف طن من الكهرباء فى ظل النظام الروسى الاقتصادى بينما تحتاج الكفاءة الصناعية فى الولايات المتحدة شخصين فقط لإنتاج نفس القوة .

وإذا رجعنا إلى موضوع حقول النفط فى روسيا وجدنا أن وضع هذه الحقول ليس جيداً أيضاً . ففى الولايات المتحدة يستخرج أكثر من (٩٠) بالمائة من النفط على شكل قطع ، ثم ينقل ميكانيكياً ، ولا يستخرج بالصهاريج والقناص غير مقدار قليل لا يتجاوز الأربعة بالمائة من مجموع الإنتاج . بينما تستخرج أكثر كميات النفط فى روسيا باليد . وتشكو مناجم الفحم ، كسائر الصناعات الروسية من قلة الأيدى العاملة المنتجة . فقد وجد أحد مهندسى المناجم وهو سويدى زار منطقة الفحم فى روسيا مهندساً روسياً واحداً لا يزال على قيد الحياة وميكانيكياً وقوميسيراً سياسياً واحداً ومجموعات من العمال يحرس كل أربعة منهم جندى مسلح . فإن عدد العمال الذين يخضعون لنظام العمل الإجبارى فى روسيا يفوق أى عدد آخر من عمال المصانع الأحرار المستخدمين فى المصانع الروسية ، إلا أن العامل المستعبد فى ظل النظام الروسى الاقتصادى لا ينتج بنفس الكفاءة التى ينتج بها العامل الحر فى ظل الأنظمة الاقتصادية . ولقد بذلت المحاولات فى مشاريع السنوات الخمس الأولى لتدريب العمال المهرة بواسطة المدارس الفنية الخاصة للدولة ، ولكن رغم ذلك عندما جاء عام ١٩٣٦ لم تجهز هذه المؤسسات غير حوالى مليون عامل وظل التقدم فى هذا الاتجاه بطيئاً . ويهدف مشروع ستالين الحالى تجهيز الصناعات الروسية بستة ملايين عامل مدرب ، وعندما يتحقق هذا الهدف الذى يعتبر غاية آمال الروس يكون الاتحاد السوفياتى قد حصل على عدد من العمال يساوى عدد العمال الذين يشتغلون فى إنتاج السيارات فقط فى الولايات المتحدة .

والآن نتساءل عن القنبلة الذرية وعن الموعد الذى تستطيع فيه روسيا أن تصنع القنبلة بكميات كبيرة :

إن العلماء الأمريكيين والإنجليز مقتنعون بأن العلماء الروس يعرفون الطرق العامة لصنع القنبلة ولو أنهم لا يعرفون الخطوات الحقيقية التى « تفجر فيها القنبلة وترى » . إلا أن أغلب المشاكل الصعبة بالنسبة للروس هى بناء المصانع المعقدة التى لا بد منها